

فريتاون:

قهوة لبنانية على الشواطئ الإفريقية

< نك ريديمن

شهدت نهاية عام 1990 رحلتي من باجول إلى لندن، مشغولا بمحادثة حزينة مع مهندس معماري سيراليوني وهو يصف بفخر جمال منزله في مدينته فريتاون. وبعد بضعة أشهر بدأت الهجمات الأولى لقوات فوداي سنكوح (الجبهة الثورية الموحدّة) على القرى في غرب سيراليون والتي أذنت بحدوث الحرب الأهلية الوحشية التي أودت بحياة 200,000 نسمة، وشلّت أعدادا أخرى لا تحصى جسديا وعقليا. مضت الآن ست سنوات منذ توقف القتال، ومات سنكوح وبقي مؤيده الليبيري، تشارلز تايلور، ينتظر موعدا مع محكمة العدل الدولية في لاهاي.



Small fishing boats

قوارب صغيرة للصيد

فماذا عن أهالي مدينة العماري الودودين، والمباني الجميلة والشواطئ المذهلة؟ نعم، إثنان من أصل ثلاثة منها ليسا في حالة سيئة، وبمرور الوقت يمكن إعادة إعمارها بالطوب والطين. وفي التسعينات كان نحو 30,000 مسافر تقريبا يختارون الشمس والرمال البيضاء من خلال مجلات العطل. بينما اليوم، ولا غرابة، أن يفترض بحق أن كل الأجانب في فريتاون هم من العاملين في مشروع واحدة من العديد من المنظمات غير الحكومية. وعلى أية حال، فبعد عدد من البدايات الخاطئة،

بدأ الحديث عن السياحة بتخذ صفة الجد. شركتا طيران، واحدة منهما الخطوط البريطانية، توفران رحلات مباشرة من لندن، ويشتغل كتاب يعملون لناشر شجاع أدلة السفر. برادت، حاليا لإصدار كتاب عن سيراليون في أوائل عام 2008، من جهة أخرى، أعلنت "شركة الجولات غير المكتشفة" الرائدة، ومقرها المملكة المتحدة، عن جولات في البلاد. لماذا السفر إذن إلى فريتاون؟ مدينة تملك ثالث أكبر ميناء طبيعي في العالم، وحيث الإنجليزية هي اللغة الرسمية وأسماء الشوارع إنجليزية، من شارع ليفربول، وشارع ويلبيرفورس، وشارع

سيباكا ستيفنز، تسجّل فصولا من تاريخها. من مرحلة الاستعباد إلى التحرر بشق الأنفس والاستقلال. هذه هي فريتاون. بالنسبة للزائرين، على الرغم من استيعاب أكثر من 1,000,000 شخص وإن كان ذلك بصعوبة، فإن فريتاون توفر استرخاء مداريا وترحيبا من أول وهلة، سائرا في شارع سغفل هل، موغلا في برك الطين في الشارع غير المغطى بالإسفلت، لاقيت فوجا من النساء والبنين وهم يحملون الماء وصواني الأسماك الطازجة. أحيانا يستدعي لقاء النظرات العابرة الرد بأدب واحترام بكلمة "صباح الخير"، وتضع جهود الديكة التحمسة

The beach

الشاطئ



يمكنك الحصول على كل شيء في هذا السوق
You can get everything in this market

الخضر بدلا من مجرد اللون الجوي-الذهبي. المشي عصرا حول شاطئ ملي، مبتدئا من أبردين ومتابعا شبه الجزيرة. يسمح لهواء البحر الغني بالأوزون بالوصول إلى أعماق نقاط الرئتين. قريبا من ذلك، وجدت الراماداس. ولم يكن فندقا مبهرجا، ولكنه مطعم بسيط على الشاطئ تضيئه مجرد شمعة وتقدم فيه أسماك المحيط الطازجة لزبائن منغرسه أقدامهم في الرمال. طلبت ما أريد وجلست مفكرا في المستقبل وأنا أتطالع نحو المحيط الأطلسي المظلم. هناك أصوات في بعض الأوساط المؤثرة، تدعمها المصالح الأجنبية، تدعو لاستغلال ثروات البلد المعدنية من أجل خلق تأثير اقتصادي سريع. والانتخابات في وقت لاحق من هذا العام ستنتخب رئيسا جديدا للمرة الأولى منذ الحرب. إن سير ونتائج العملية الانتخابية سيحدد مستقبل البلاد، مما يجعل الكثيرين متوترين الأعصاب وهم يتحسبون ما ستسفر عنه. تقديري الخاص لمستقبل سيراليون مفعم بالأمل. حيث أن زيادة الثقة في البلاد ستجذب المسافرين مرة أخرى للتمتع بجوهرة غرب إفريقيا الحقيقية. إن الطريق الذي يؤدي إلى تقوية الاقتصاد عن طريق تغذية الثقافة، والحفاظ على الموارد الطبيعية والحياة البرية سيحصل على صوتي في كل مرة. وأمل الشيء نفسه بالنسبة لسيراليون. ■



A relic from the colonial past

مخلفات العهد الإستعماري

لم أحاول ذلك، أظن أنه قد كان في مقدوري دفع ثمن القهوة الرائعة باليرة اللبنانية. وقريبا من ذلك، وفي شارع هاو، تقع مكاتب شركة كتي للجولات السياحية، ومقرها الرئيسي في فريتاون. وكنت قد أعددت هنا لقاء مع باتريشيا براون، التي عادت مؤخرا من الولايات المتحدة لترويج السياحة في سيراليون. سألتها كيف خططت للتغلب على صورة النزاعات التي ارتبطت بالبلد لكسب السياح. مع دولارتهم، إلى المدينة. فقالت: "تثقيف السياح، وعرض البلد والتسويق. لدينا مجموعة نادرة من الثقافة والحياة البرية. وسيراليون وجهة سياحية للمسافر المغامر الذي "انتهى" من الأماكن الأخرى" وأضافت باتريشيا "الآن، فنادقنا، الصغيرة أو الكبيرة، لا بد أن يكون لديها جهازها الخاص لتوليد الكهرباء. كما يجب أن يجلب الماء لها. وسوء حالة الطرق يعني أن السيارات بحاجة إلى صيانة مستمرة. وعندما تكتمل البنية التحتية ستخفض التكاليف أيضا." أرنتي برامج لمحي المشي، ومراقبة الطيور، والحياة البرية وهي تضم فرصا لمشاهدة قرود الشمبانزي، وقرود كولوبوس، وفرس البحر. الإقامة خارج المدينة تشمل سكنا إيكولوجيا حول مجتمعات محلية، وتحديدًا على جزيرة الموز وجزيرة تيواي. وإذا صدق كلام باتريشيا فيبدو أن سياح سيراليون في المستقبل سيصبحون من

على السكان الذين استبقظوا منذ ساعات. كان الوقت هو صباح الأحد وأنا أراقب في أسفل الطريق أسرة كاملة تعمل بجد على تعمير منزلها. لا يوجد هنا مستودع لبيع مواد البناء الجاهزة، وإنما يتم البناء انطلاقا من المكونات الأساسية- للجدار أنت في حاجة للطابوق، وللطابوق أنت بحاجة إلى الطين. وأصوات الطيور تتنافس مع إيقاعات المولدات بينما يطير سرب من الفراشات بشكل هادف خلال الهواء الرطب. سيارة الأجرة المكتوب عليها للتفاؤل "المحمر" تطلق صفارتها لتحصيل عمل. أو ربما للانداز، وليس بوسعي أن أكون متأكدا. ومارا بتقاطع الكونغو أجد جوانب الشارع مليئة بالأكشاك التي تتنافس على الزبائن. إذا أردت شحن تلفونك، أو شراء أثاث، أو شراء أجهزة الراديو، أو شراء السجائر، فهي هنا جميعا. شرطي جاد يوجه حركة المرور الكثيفة. ولما كان من الواضح أنني غريب فقد جذبت الانتباه الإيجابي فقط، والتحيات المبهجة وأحيانا الاستفسارات الحماسية.

في وسط المدينة، هناك عدد من المطاعم اللبنانية للجيل الثاني والثالث. بعض الكلمات العربية المألوفة تنطلق إلى الشارع من واجهة مفتوحة لإحدى هذه المؤسسات ولم يعد بإمكانني مقاومة الرغبة في القهوة اللبنانية أكثر من ذلك. ها أنا في غرب إفريقيا، ورغم أنني